ف. بكيزيتش

المسيح في الأناجيل

أو

الكنيسة والنقد الكتابي الحديث

تعريب الأب ميشال نجم

ترجم هذا الكتاب عن الاصل الانكليزي :
The Gospel Image of Christ :
The Church and Modern Criticism
لمؤلفه : Veselin Kesich
الصادر عن :
St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary
Crestwood, New York, 1972.

فهرس

	صفحة
المقدمـــة	٧
الفصل الاول : الكنيسة والنقد	٩
المنهج التفسيري في النقد الحديث	١٠
نقد الاشكال الادبية	١١
المنهج والموضوعية	١٦
الفصل الثاني : مسألة الاصالة	١٩
الحدث وتفسيره	١٩
كلام يسوع ومعناه	٢١
اللغة اليونانية في فلسطين	٢٢
مقياس عدم التشابه	٢٤
الكتاب المقدس والتقليد	٢٧
الوحدة بين العهد القديم والعهد الجديد	٢٨
يسوع والكنيسة	٢٨
« يسوع التاريخ » و « مسيح الايمان »	٢٨
الفصل الثالث : الانجيل والاناجيل	٣١
تأريخ كلمة « انجيل »	٣١
الاناجيل والانجيليون	٣٤
المسألة السينابتية	٣٦
هل تعد الاناجيل سيرا ؟	٣٨
مهمة الانجيليين المزدوجة	٤٠
دور الشهود	٤٢

صفحة

الفصل الرابع : التسلسل الزمني والترتيب اللاهوتي في الاناجيل ٤٥
لا رواية عن يسوع بدون لاهوت ٤٥
موعد العشاء الاخير ٤٨
محاكمات يسوع ٥١
الفصل الخامس : قبول الكنيسة للاناجيل ٥٥
الاناجيل الابوكريفية ٥٦
الكنيسة ومركيون ٥٩
« الانجيل الرباعي » ٦١
الفصل السادس : يسوع واليهود والامم ٦٥
يسوع والحركات الدينية اليهودية ٦٦
يسوع والاسانيون ٦٧
يسوع والسامريون والامميون ٧١
الفصل السابع : من هو يسوع ؟ ٧٥
المسيح ٧٦
ابن الانسان و خادم الرب المتألم ٧٨
ابن و رب ٨٢
السر الماسياني ٨٤
الفصل الثامن : ملكوت الله ٨٧
الصبغة الاخروية في تعليم يسوع ٨٨
الملكوت كما تكشفه الامثال ٩١
الملكوت كما تكشفه العجائب ٩٢
الملكوت والكنيسة ٩٤
الخاتمة ٩٧
حواشي الفصل الاول ٩٩
حواشي الفصل الثاني ١٠٥
حواشي الفصل الثالث ١١٤
حواشي الفصل الرابع ١١٩
حواشي الفصل الخامس ١٢٤
حواشي الفصل السادس ١٢٩
حواشي الفصل السابع ١٣٥
حواشي الفصل الثامن ١٤٣
مراجع مختارة ١٥٠

مقدمة

هدف هذه الدراسة تعريف القارىء العادي على بعض المسائل الهامة التي برزت في الابحاث الانجيلية ، والمشاركة في المناقشات الدائرة في الاوساط الارثوذكسية حول قيمة النقد الكتابي واستخدامه في الكنيسة .

وفي الوقت الحاضر نفتقر نحن الارثوذكسيين الى الاهتمام الكافي في هذا الحقل ، وذلك يعود في الاصل ، الى الظروف التاريخية خلال الحقبة الطويلة من العزلة والتي ولدت لدينا الفكرة الخاطئة بأن أبحاث النقد الكتابي من اختصاص الانجيليين وحدهم ولا علاقة للارثوذكس بها . لكن ظروفنا الآن قد تغيرت . فالكنيسة الارثوذكسية ليست فقط باحتكاك مباشر مع الغرب ولكنها تحيا الانجيل وتعلنه هناك . فالى متى يمكنها ان تهمل أو تتجاهل ما يدور في حقل الدراسات الكتابية ؟ لا شك في انه ظهر في القرنين الماضيين علماء ولاهوتيون ارثوذكسيون كانوا واعين تمام الوعي اهمية النقد الكتابي ومقدرين له قيمته ، بيد انهم لم يؤثروا التأثير الكافي على الكنيسة ككل . ولا وجدوا الكثيرين يحذون حذوهم ويتممون عملهم خالقين بذلك المناخ الملائم لمتابعة الدراسات الكتابية . بل بالعكس كان الحماس لهم ضعيفا لان الكثيرين كانوا ينظرون الى النقد الكتابي وكأنه شيء سلبي ، لا بل وكأنه موجه ضد الايمان نفسه .

لقد كتب (بضم الكاف وكسر التاء) هذا الكتاب بايمان راسخ وقناعة بأن النقد الكتابي ليس سلبيا ، فالوظيفة الحقيقية للنقد

ليست للهدم بل للبناء وليست للتعتيم بل للانارة ، وليست لتضليل اعضاء الكنيسة بل لحملهم على فهم أفضل للنص الكتابي والحقيقة التي يعبر عنها هذا النص . لا يوجد منهج نقدي كامل أو معصوم عن الخطأ ، لكن قد تكون لبعض نتائجه قيمة ثابتة . المصاعب تنشأ من جراء فرضيات العلماء وهذه الفرضيات هي التي تفسر كيف أن الذين يستخدمون المنهج ذاته يصلون أحيانا الى نتائج متعارضة جدا .

لا تمكن دراسة الانجيل بدون نقد انجيلي . لذا على الكنيسة الا تتردد في تشجيع وخلق الظروف الملائمة لتقدم الدراسات الكتابية . يوجد ترابط بين هذا النمط من الدراسات وبين اللاهوت بحيث يصعب علينا تخيل نهضة لاهوتية بدون اهتمام عميق ومشاركة فعالة في الابحاث الكتابية . وتاريخيا نما الفكر اللاهوتي عندما كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمعرفة الكتابية ، اذ لا يمكن للواحد ان يحصل دون الآخر .

هذا الكتاب يهتم بالاناجيل وبالشخص الذي هو محور الرواية الانجيلية . ولقد عدنا دائما الى اساتذة التفسير الكتابي الذين ساعدونا على رؤية تلك الرواية في موقعها الصحيح وعلى اجتذابنا الى يسوع كما كان ينظر اليه معاصروه . ولا بد لنا من ان نعي أن وجه يسوع ، اذا اردنا له أن يؤثر في عصرنا هذا ، يجب أن يكون هو نفسه الذي تصوره لنا الاناجيل .

مهمة هذا الكتاب الرئيسية هي رسم هذا الوجه بمساعدة الابحاث النقدية الحديثة .

الفصل الأول

الكنيسة والنقد

الاناجيل مصدرنا الوحيد لحياة يسوع وتعاليمه (١) . وبما ان أمورا كثيرة تعتمد على شخص يسوع فلا عجب أن تكون الاناجيل قد اخضعت لأدق بحث ادبي وتاريخي خلال القرنين الاخيرين . ولا توجد وثائق أخرى قديمة قرئت وحللت بالاهتمام والدقة اللذين استخدما في دراسة الاناجيل الاربعة . بالطبع لم يكن النقد الكتابي مجهولا في الكنيسة الاولى ، لكن التساؤلات النقدية التي هي مركز الاهتمام في العصور الحديثة كانت هامشية . فنمو النقد الحديث ظاهرة جديدة في حياة الكنيسة . اننا سنبحث في الفصول اللاحقة بعض نتائج الابحاث النقدية محاولين الافادة منها . ولذا فستنعكس في مناقشاتنا آراء العديد من كبار النقاد . وسنركز ، بادىء ذي بدء ، على المنهج التفسيري ومن ثم تأتي الانواع المختلفة للنقد الكتابي ، كما سنولي التساؤلات التي يطرحها النقاد حول تاريخية المادة الانجيلية اهتماما خاصا ، آخذين بعين الاعتبار دور الكنيسة في تكوين الوثائق الانجيلية وتحديدها .

---

(١) انظر الى الحواشي في آخر الكتاب .

المنهج التفسيري في النقـــد الحديث

يقبل كل علماء الكتاب المقدس المنهج التفسيري ويستخدمونه، والمهمة الاولى للناقد الذي يستخدم هذا المنهج هي أن يفهم ما يريد الكاتب نقله في فقرة او كتاب ما . عليه اولا ، تحديد النص قبـــل استخراج معناه ودرس المقطع كله في سياق ما يسبقه وما يلحقه . هذا قد يتطلب دراسة الفصل كله أو حتى الكتاب بكامله . ثم يحاول الناقد تحديد مصدر او مصادر الرواية التي يبحث فيها ، هل تأتي هذه الرواية من مصدر يشترك فيه انجيليان أو ثلاثة ؟ أم هي من مصدر خاص يستند اليه انجيلي واحـــد فقط ؟ ثم تأتي بعـــد ذلك الخطوة التي تتعلق بالتفتيش عن الشكل غير المكتـــوب الذي عبر فيه عن تلك الرواية في التقليد الشفهي ، الامر الذي يعني تجاوز المصادر الادبية والتأكد من مكانة هذه الرواية في حياة الكنيسة . واخيرا يأتي السؤال عن اصل التقليد ، أكان قولا أم اعجوبة ام مثلا ام اي حـــدث خـــاص ذكـــر في الاناجيـــل ، تـــرى هل اصولـــه في حياة الكنيسة ام انها تعود الى يسوع نفسه ؟

هذا المنهج التفسيري يفترض انواعـــا عديـــدة من « النقد » اولها نقد النصوص . فلو كنا نملك النسخ الاصلية لأسفار العهـــد الجديد لما كنا في حاجة للنقد النصي . ولكن هذه الاسفار نسخت وحصلت اخطاء خلال ذلك فغدا على الناقد ان يستخرج لنا افضل نص ممكن . ليست هذه المهمة سهلة ، فللأناجيل وحدها ما يتجاوز الالفي مخطوطة ، وغالبا ما نجد قراءات متعددة للآيـــة الواحدة ، فأية قراءة نعتمد ؟ لذلك يجب ان يكون الناقد عارفا معرفة دقيقة ليس اسلوب الكاتب فقط بل لاهوته وذلك قبل الشروع بأخذ خطـــوة حاسمة في قبول قراءة ورفض اخرى . والصعوبة التي ينبغي تخطيها هنا هي لاهوت الناقد ، خاصة عندما يتعارض ولاهوت صاحب النص الانجيلي ، لأن الناقد سيحاول فرض لاهوته هو على النص . لكن بالرغم من كل الصعوبات ، من تعدد النصوص الى تحيز النقاد ، فقد ادى النقد النصي خدمة اساسية في فهم الكتاب المقدس لأنه ساعد في التوصل الى نص جدير بالاعتماد (٢) .

كثيرون ممن لا يرغبون بالنقـــد الكتابـــي بكـــل اشكاله ، مستعدون تماما لقبول ضرورة النقد النصي ولتقديـــر نتائجـــه .

فيقبلون « بالنقد الادنى » ويتخذون موقف الحذر تجاه تقييم « النقد الاعلى » . وهذه البرودة تجاه هذا الاسلوب النقدي تبررها المواقف الاعتباطية التي يتخذها اصحاب « النقد الاعلى » كأن يكتشفوا احيانا ثلاثة مصادر في آية واحدة . وهذا بالطبع يفقد السفر وحدته العضوية . لا شك في ان هذا الموقف متطرف لكن كثيرا ما اغرى نقاد المصادر باتباعه . لكل منهج حدود ومنهج نقد المصادر ليس مستثنى . ورغم ذلك فعيوب هذا المنهج ليست مبررا كافيا لرفض قيمة « النقد الاعلى » رفضا باتا (٣) .

تبقى مشكلة تحديد المصادر التي استقاها الانجيليون في تدوين رواياتهم الانجيلية . هذه المشكلة كانت من اولى اهتمامات نقاد المصادر . بيد ان نتائج النقد المصدري مشكوك بها اكثر من نتائج النقد النصي لأنها اكثر تجريبية وذاتية . مثال ذلك اهتمام نقاد المصادر بالتساؤل حول اولية الاناجيل الاربعة . كثير منهم يعتبر انجيل مرقس الاول في الترتيب الزمني ويعتبر ان متى ولوقا استعانا به لكتابة انجيليهما . كما استنتج من وجود المادة المشتركة بين متى ولوقا انهما استعملا الى جانب مرقس مصدرا آخر يشار اليه بالحرف Q (Quelle كلمة المانية تعني مصدرا) . غير ان هذه النظرية التي تقوم على مرقس وعلى Q قد شك في صحتها علماء آخرون لا يقبلون باقدمية انجيل مرقس ولا يؤيدون وجود مصدر مفترض هو Q . هؤلاء يفترضون وجود عدة مصادر لكنهم يشكون في نظرية الاستعارة قائلين بوجود احتكاك واتصال فيما بين المصادر الانجيلية قبل ان يستخدمها الانجيليون .

نقد الاشكال الادبية

لقد طغى نقد الاشكال الادبية على النقد الانجيلي في القرن العشرين وبالتحديد منذ بداية الحرب العالمية الاولى ، لكنه لم يحتل مكان النقد المصدري الذي كانت نتائجه قد قبلت . في هذا المنحى النقدي يحاول العالم التغلب على كل ما من شأنه ان يبدو انحرافا ادبيا متطرفا وذلك عن طريق تجاوز النصوص الادبية والغوص في بحث التقليد الشفهي ، والسعي في تتبع نمو التقاليد المتصلة بيسوع ، ووصف كيفية هذا النمو وفقا لاحتياجات الكنيسة

الرسولية (٤) . اي انه يهتم بالمرحلة الزمنية التي كانت فيها روايات يسوع واقواله ما تزال طافية على سطح التقليد الشفهي .

ان معرفة الشكل الادبي مهم جدا لتفسير اي سفر كتابي اذ ان فهمنا للأناجيل يتوقف ، الى حد بعيد ، على الاجابة عن السؤال حول شكلها الادبي . اهي سيرة (قصة) ام تأريخ للأحداث ام انها شهادة شهود عيان ليسوع ؟ على الجواب يتوقف تفسيرنا للنص وما لم نحدد الشكل الادبي للنص لن نكتشف مغزاه . فلنأخذ ، مثلا ، سفر يونان ، فاذا اردنا معرفة ما ينقله الينا فلا بد لنا من التساؤل اولا عن شكله الادبي : هل هذا السفر سرد لحادثة حقيقية او هو مثل ؟ (٥) .

ولا يكفي ان نحدد الشكل الادبي لكل انجيل بكامله بل يجب ايضا ان نحدد الاشكال الادبية للمقاطع الصغيرة الموجودة في كل انجيل ، لأن كل انجيل يضم انماطا ادبية متعددة كاقوال يسوع القصيرة والمعجزات وسرد الخبرات الشخصية ومدونات الشهود العيان وقصص الطفولة وسلسلة الانساب وغيرها . لكن نقاد الاشكال الادبية لا يتفقون حول تصنيف المادة الانجيلية . فمنهم من يفضل التكلم عن الاشكال الادبية المختلطة اكثر من الكلام عن الاشكال الادبية الصافية . ومنهم من يعبر عن ارتيابه بالقيمة التاريخية لبعض المقاطع الصغيرة . فمثلا لم يصنف كبير نقاد الاشكال الادبية رودلف بولتمان الحادثة الواردة في (مر ٣ : ١ ـ ٦) والتي تدور حول شفاء رجل ذي يد مشلولة ، كحادثة عجائبية بل كراي معبر عن موقف اليهود تجاه السبت . ولهذا يقول : ان الحادثة تصل الى ذروتها عندما يقول يسوع : « هل يحل في السبت عمل الخير ام عمل الشر ؟ انقاذ نفس ام اهلاكها ؟ » ويدعو بولتمان هذا النمط من القصص « حكمة » او « قولا مأثورا » لأن له ما يشابهه في الادب اليوناني (٦) . امثال هؤلاء النقاد ، كبولتمان ، يعتبرون ان القول ليسوع ولكن الاعجوبة هي من صنع الجماعة الاولى .

لو اقتصر نقد الاشكال الادبية على تحديد الاشكال الادبية وتصنيفها لأدى بذلك مهمة لا غنى عنها (٧) . ولكنه تعدى ذلك الى اصدار الحكم على القيمة التاريخية للمادة المتجسدة في شكل ادبي معين . وهذا ما اثار جدلا عظيما . ففي حين يعتبر ديبيليوس ان

اعطاء مثل هذه الاحكام ليس من وظيفة نقاد الاشكال الادبية ، يرى بولتمان عكس ذلك . ويذهب المتطرفون ممن يحذون حذو بولتمان الى القول بأن عجائب شفاء المرضى في الانجيل تشكل نوعا ادبيا يشابه قصص العجائب في العصر الهليني . ويبينون ان قصص عجائب الشفاء في الاناجيل وفي التراث الهليني ترتكز على العناصر الثلاثة التالية :

- وصف للوضع ولطبيعة المرض .
- العمل الذي قام به الشخص الشافي ، اي الطريقة التي بها شفى المرضى .
- نتيجة هذا العمل .

على اساس هذا التشابه ينزع النقاد المتطرفون الى الاستنتاج بأن عجائب الانجيل ليست من عمل يسوع بل اختلقتها الجماعة المسيحية الاولى ولذلك فهم يرفضونها . لكن ، هل التشابه في الشكل الروائي سبب كاف لحذف العجائب من حياة يسوع ؟ وهل بالامكان رواية حادثة شفاء ما بطريقة اخرى ؟ (٨)

عجائب يسوع جزء لا يتجزأ من التقليد الانجيلي الاولي ، ولا يوجد اي مصدر انجيلي بدون ذكر احداث عجائبية . وحتى يسوع نفسه فقد ذكر بوضوح انه اجترح العجائب :

« الويل لك يا كورزين ، الويل لك يا بيت صيدا ! فلو كانت المعجزات التي جرت فيكما جرت في صور وصيدا ، لتاب اهلهما من زمن بعيد ... وانت يا كفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية » (لو ١٠ : ١٣ ــ ١٥ ؛ متى ١١ : ٢٠ ــ ٢٤) .

وحتى خصوم يسوع انفسهم لم يرفضوا عجائبه . وهكذا يتضح لنا كيف ان آراء النقاد الخاصة وفرضياتهم المسبقة يمكن ان تؤدي الى رفضهم للعجائب (٩) .

ان نقد الاشكال الادبية يدل على ان حاجات الكنيسة لعبت

دورا هاما في الحفاظ على الروايات والاقوال الانجيلية ، وفي اختيارها واستعمالها . وبذا يكون اهم انجاز لهذا النمط من النقد اظهاره ان النقد الانجيلي لم يوجد منفصلا عن حياة الكنيسة ، وتأكيده ان العهد الجديد هو كتاب الكنيسة .

لقد عاشت الكنيسة الاولى في صلواتها كلمات الرب يسوع واعماله . وكان المسيحيون الاولون « يواظبون على تعليم الرسل وكسر الخبز والصلوات » (اعمال ٢ : ٤٢) . وكانوا يتذكرون ويفسرون كلمات يسوع واعماله خلال اقامة الافخارستيا . ويمكننا التصور ان المعلمين في وعظهم كانوا يجيبون عن الاسئلة حول تعاليم يسوع ويعطون الامثلة لشرح موقفه من الشريعة والشيع والمؤسسات اليهودية . كما كانوا يوضحون تعاليمه بشأن ملكوت الله وعن نفسه . ومع انتشار المسيحية وتزايد عدد الراغبين فيها قامت الكنيسة باعداد مجموعات من اقوال يسوع وتعاليمه وضعت في متناول العاملين في التعليم الديني . فضبطت بذلك نقل التقليد الانجيلي واطمأنت الى ان اعضاءها الجدد يتلقون بامانة اقوال يسوع واعماله . واصبح بامكان كل كنيسة محلية ان تراقب تعليم الكنائس الاخرى . وهكذا اغلق المجال امام كل راغب في اختلاق روايات انجيلية جديدة (انظر مثلا اعمال ٨ : ١٤ و ١٠ — ١١) . ان احتياجات الكنيسة حددت ما يجب ادراجه من تقاليد عن يسوع في النصوص المكتوبة . لم تكن الاحتياجات تؤدي الى اختلاق الروايات بل كانت تدعو الى تقرير ما يجب انتقاؤه وتطبيقه على الاوضاع الجديدة في الكنيسة . فالكنيسة لم تختلق اقوال يسوع واعماله انما سعت الى تفسيرها فقط . فمثلا ، عندما طرح (بضم الطه وكسر الراء) ، اثناء انعقاد المجمع الاورشليمي في السنة الخمسين بعد الميلاد ، السؤال عن ضرورة اختتان الوثنيين لخلاصهم ، لم تجد الكنيسة في كلام يسوع اي جواب مباشر . فلو كان نقاد الاشكال الادبية محقين في ادعائهم بان الكنيسة اختلقت الروايات الانجيلية لكان من شأن الكنيسة ، ما دامت الظروف مؤاتية ان تبتدع اقوالا تنسب الى يسوع او تختلق قصة تدل على موقفه من ختانة الوثنيين ، لكن الكنيسة لم تخضع لأية تجربة من هذا النوع ولم تنسب الى يسوع اي قول غير مسنود (١٠) . وهكذا انتهى الجدل الحار حول ختانة الوثنيين دون اختلاق قول منسوب ليسوع ،

واتخذ قرار ضد فرض الختان بعد دراسة وافية قام بهـا الرسـل والشيوخ .

ان النقد الشكلي ساهم مساهمة فعالة في توضيح التقاليـد الانجيلية قبل صبها في شكلها النهائي المكتوب . غير أن اتباع هذا النمط النقدي يميلون إلى ان ينسبوا الى جماعـة المؤمنين مسؤولية في تكوين النص الانجيلي اكبر مما يمكن اثباته . فيقللون بذلك من أهمية الدور الذي لعبه الشهود العيان في نقل كلمات يسوع وافعاله ويضعفـون من مساهمـة الانجيليين الشخصيـة في تأليـف اناجيلهم (١١) .

ظهرت حديثا نزعة جديدة في نقـد الاشكال الادبيـة تعـرف بـ « نقد الانشاء الادبي » . هذه النزعة تحاول تدارك النقائص في الطريقة السابقة فتشدد على دور الانجيليين اكثر من تشديدهـا على دور الجماعة . وفيها يهتم الناقد بالصفات المميزة لكل انجيلي ، والطريقة التي استعمل بها المصادر المتوفرة لديه . لذلك نراه بعد تحديد الشكل الادبي لسفر ما يهتم باسلوب الكتابة وطريقة التاليف ومراحل الوصول الى النص النهائي . انه يهتم بعمل الانسان الذي كتب السفر اذ يعتبر ان الانجيليين لم يكونوا فقط جامعين لتقاليـد الجماعة المسيحية بل مؤلفون لهم نظرتهم الخاصة بدليل تصنيفهم المواد الانجيلية بطريقة تعبر عن اهتماماتهم اللاهوتية . ولقد توصل احد اشهر نقاد الانشاء الكتابي ويللي ماركسن بتشديده على اهمية دور الانجيليين إلى الاستنتاج بان الاناجيل الاربعة لا تنتمي الى شكل ادبي واحد ، وان النموذج الانجيلي المشترك قد نقض (بضم النون وكسر القاف) لكثرة ما ابتكر كل من الانجيليين من الاساليب الخاصة في الكتابة حتى اصبح كل انجيل قائما بذاته (١٢) .

بالرغم من المواقف المتطرفة التي قد تنتج عن تطبيـق اي من نزعتي نقد الاشكال الادبية ، كما اتضح سابقا ، يبقى ان استعمال هذا النهج كأداة علمية محضة من قبل عدد آخر من النقاد اعطى فوائد جلى وفتح ابوابا كانت ما تزال مغلقـة . فساهم التصنيف الدقيق للاشكال الادبية والوصف الواضح لدور الانجيليين في كتابة اناجيلهم اسهاما كبيرا في تفسير العديد من المقاطع الصغيرة وكلمات يسوع واقواله الواردة في الاناجيل .

المنهج والموضوعية

لا يتوصل دائما مطبقو المنهج التفسيري الى النتائج نفسها . وهذا لا يسبب اللوم للمنهج بحد ذاته ، اذ لـم يظهـر في عصر من العصور منهج مطلق او مكتف بذاته . فليس من منهج الا وتعـرض لفرضيات العلماء وتحيزاتهم . وقد ذكرنا بهذا الصدد انه حتى في حقل النقد النصي لعبت فرضيات النقاد دورا مهما في اختيار نص ورفض آخر . ولذا فلا بد ان يكون لآرائهم تأثير في الكنيسة والتقليد ومكانة الكتاب المقدس في الكنيسة وحتى في تفسير نص انجيلي .

كتب الأب سرجيوس بولغاكوف ان هنالك دوما « بحثا علميا حقيقيا » من جهة و « انحيازات العصر » من جهة اخـرى (١٣) . وبالرغم من الاجحافات فقد ساهم النقاد الكبار فعليا في البحث العلمي لحل المشاكل الكتابية ، وبالتالي ازدادت معرفتنا بالاناجيل ، وتعمق فهمنا لعمل الله في التاريخ . وان كنا قد انتقدنا بعض النزعات في علم الكتاب المقدس فهذا لم يكن بهدف القاء اللوم على منهج نقـد الاشكال الادبية بل للاشارة الى الانحرافات التي وصل اليها بعض البحاثة . فالبعض منهم يعتقد ان حياة يسوع يجب ان تكون مغايرة لما تبينه الوثائق الانجيلية . وهم يريدون قبول يسوع وفهم رسالته بطريقتهم الخاصة . وانجرافاتهم هذه ذات طابع عقلاني مشكك . العقلاني يعتبر الاناجيل بمثابة وثائق انسانية وحسب ولا يمكنه ان يرى فيها اي طابع آخر . وبالتالي لا يسعه ان يعتبرها الهية وانسانية لأنه يرفض ، مبدئيا ، العنصر « الالهي » او « الفائق الطبيعة » ، وينسب كل شيء الى ايمان جماعة مجهولـة غير محددة المعالم . وهكذا يكون قد ابدى روحا غير نقدية وافضى به شكه المتطرف الى التسليم الساذج ببعض فرضياته . ولو استطـاع كل البحاثـة ان يكونوا موضوعيين ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، لتوصلوا في آخر الامر الى تفسير واحد للنص الكتابي . وبتعبير آخر لكانو فهموا كل المعنى الذي اراد الكاتب ان ينقله الى قرائه (١٤) . وهذا الامر ممكن ولو نسبيا . ويمكننا الاشارة ، في هذا الصدد ، الى ان عددا من النقاد « الانجيليين » و « الكاثوليك » يتوصلون اليوم في ابحاثهم الكتابية الى النتائج نفسها ، وبذلك يساهمون في هدم الحائط القديم الذي كان يفصل بينهم لدرجة يصعب فيهـا تحديـد هوية الناقـد

بالاستناد الى ابحاثه ونتائجها ، فالعالم « الانجيلي » لا يميـــز من الكاثوليكي والعكس صحيح . وفي العشرين سنة الاخيرة تزايد عدد الكاثوليك الذين اتخذوا المواقف الاكثـــر تقاربا من الانجيليين لا بل المواقف نفسها في كثير من الاحيان . لا شك ان هذه المواقف تدل على درجة عليا من الموضوعية . ولكن ليس المنهج التفسيري وحده يعلل هذا التقدم في الموضوعية بل الرؤى الواحدة والمنهـــج العلمي الواحد والمنطلقات الواحدة هي التي تجمع بين هؤلاء النقاد .

يبقى ان احدى النتائج المشجعة للنقد الكتابي الحديث الاهتمام المتزايد بالدراسات الكتابية ، وبها تكتشف جماعات مسيحية عديدة ان بينها شركة في الرؤية اكثر بكثير مما كانت تظن . ولقد اسهـــم النقاد المتطرفون في زيادة الاهتمام اذ اثارت تساؤلاتهم نقاشا مجديا حول طبيعة الرواية الانجيلية وتاريخيتها ، وحثت علماء العهد الجديد على اعادة النظر بتأن في النصوص والبحث عن اجوبـــة للمسائـــل المطروحة .

الفصل الثاني

مسألـة الأصالـة

مهمة نقد العهد الجديد ايصالنا الى رؤية يسوع كما كان يراه معاصروه بيد انه لا يستطيع ان يستنفد كل معنى الانجيل . قد يقودنا النقد الى يسوع ولكن « لا يقدر احد ان يقول : يسوع رب الا بالهام من الروح القدس » (١ كور ١٢ : ٣) . مهمة النقد الحقيقية هي فتح طرق جديدة لفهم سبل الله واهدافه في التاريخ .

الاناجيل ذاتها تشجع النقد ، اذ كل حادثة في حياة يسوع مدونة في اكثر من انجيل . وليس من الضروري ان يكون الانسان ناقدا كتابيا حتى يلاحظ التشابه والاختلاف بين الانجيليين في سرد الحادثة نفسها . عمل النقد هو تفسير تلك الاختلافات . وحتى في تدوين كلمات يسوع نستطيع ان نلاحظ اختلافا في التدوين واختلافا في التركيز وذلك لأن اعمال يسوع لا تقدم الينا كوقائع مجردة ، وكلماته لا تعرض من دون معناها . فالوقائع مصحوبة بتفاسير لها والكلمات مرتبطة بمعانيها .

الحدث وتفسيره

الحدث يلاحظ ثم يسجل . والوقائع لا تنقل بدون تفسير كما ان الرسالة النابعة من الحدث تنقل مع رواية الحدث نفسه .

في التقليد الانجيلي يلاصق الحدث دوما تفسيره ونتعلم الوقائع مع معناها . فمثلا في خبر موت المسيح (مر ١٥ : ٣٧ — ٣٨) هنالك تقرير بالفعل عما حدث بالاضافة الى معنى هذا الحدث : « فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ، فانشق حجاب الهيكل الى اثنين من فوق الى اسفل » . عندما مات يسوع انشق حجاب الهيكل . الحدثان حصلا معا . ولكن عندما نأخذ موت يسوع على انه موت بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فلا ضرورة لأخذ حكاية انشقاق حجاب الهيكل الى اثنين بحرفيتها . فلربما عنى الانجيلي بالحجاب ذاك الذي كان يفصل في هيكل اورشليم بين القدس ، حيث كانت تقدم الذبائح يوميا ، وبين قدس الاقداس الذي هو مكان حضور الله غير المنظور ويدخله رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة . بموت يسوع ازيل الحاجز الذي يفصل الانسان عن الله والممثل بالحجاب ، ونقض « جدار العداوة » (افسس ٢ : ١٤ — ١٥) . وتحققت النبوءات ، فتم العمل الخلاصي في اللحظة التي فيها « اسلم يسوع الروح » .

ولننظر الآن في الحادثة نفسها كما رواها متى : « فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ، واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت ، وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧ : ٥٠ — ٥٣) .

وحده متى دون الآيات التي تلي انشقاق حجاب الهيكل . ولم يرد ان تؤخذ بحرفيتها ولو اخذت كذلك لأربكتنا : فالوصف ليس وصف شاهد عيان ولكنها وضعت لتنقل الينا معنى موت يسوع . وهكذا اضاف متى جوانب جديدة للمعنى الذي اعطانا اياه مرقس : اما صورة الارض المزلزلة والصخور المشققة في التقليد فهي صور وصف بها يوم يهوه (١) . وهكذا اراد الانجيلي ، والتقليد الانجيلي الذي اعتمده متى في رسم صورته ، ان يقولا بأن يوم الرب قد اتى وهو حاضر الآن وان ما اعلنه الانبياء عن يوم الدينونة ويوم الخلاص قد ابتدأ بموت الرب على الصليب . واما صورة فتح القبور وقيامة قديسي العهد القديم فماذا عنها ؟ هل يشير هنا الانجيلي الى قيامة لعازر معمما اياها على عدد اكبر من البشر ؟

وهل يمكن لخذ هذا النص بمعناه الحـرفي ؟ لقـد اضفى كثير من الآباء والشراح المعاصرين على هذا المقطع صفـة لاهوتية وليس مدلولا تاريخيا (٢) ، لأنه بتفسيرنا هذا المقطع تفسيرا حرفيا نفقده كل معناه .

اذن تفسير معاني موت يسوع هو جـزء لا يتجـزأ من سرد الحدث نفسه . وهذا يعني انه لا بد من الحكم على اي تفسير آخر لموت السيد بالعودة الى التفسير المعطى في الكتـاب المقـدس . والتفسير الوارد في العهد الجديد هو المقياس لأي تفسير آخـر لأن الانجيليين وجدوا ، في التقليد الانجيلي الذي استقوا منه مادة اناجيلهم ، الوقائع مصحوبة دوما بتفاسيرها ، وان هذا التقليد يعود الى يسوع نفسه وتفسيره هو لمعنى موته .

كلام يسوع ومعناه

وكما رأينا ، الاناجيل لا تعطينا وقائع مجردة عن حياة يسوع . فهل تنقل الينا « كلماته الاصلية » دون اية شائبة ؟ الناقـد المؤمن بمبدأ العصمة الحرفية للكتاب المقدس ، وكذلك الراديكالي ، يملك كل منهما جوابا سهلا . فالاول يجيب بالايجاب المطلق واما الثاني فيجيب بالنفي دون تحفظ . وسيؤكد المتطرف في نقد الاشكال الادبيـة ان كلام يسوع لم يحفظ كما هـو وان مـا دون في الاناجيـل ما هـو الا كـلام الجماعـة المعبر عن ايمانها . لا بـد من التسليم معـه بان اقوال يسوع لم تدون في الاناجيل بحرفيتها . مثال ذلك الروايات الاربع عن تأسيس سر الشكر . فهي لا تتناقض في الفحوى ولكننا نجد اختلافا في العبارات احيانا . لقد تأملت الكنيسة بكـلام يسـوع في اجتماعات سر الشكر ، وكان الروح القدس هاديها الى فهم معناه الحقيقي . لذلك نجد كلام يسوع في الاناجيل مرفقا بمعناه .

لقد علم يسوع تلاميذه ودربهم واقـام الاثني عشر « ليكونـوا معه » (مر ٣ : ١٣ ـ ١٥) . ولعله كرر الاقـوال نفسهـا مرارا خلال وجوده على الارض ودعى تلاميذه الى سماع كلامه (مر ٤ : ٣) اي الى حفظ هذا الكلام والعمل به : « فكل من يسمع اقوالي هذه ويعمل بها اشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر » (متى ٧ : ٢٤) .

« طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٨) . فكلام الله ينقل بكلام البشر . وكذلك الصوت الذي اتى من السحاب عند التجلي دعا التلاميذ الى ان يسمعوا : « هذا هو ابني الحبيب ، فله اسمعوا » (مر ٩ : ٧ وما يوازيها) (٣) .

وعندما نقول بان التلاميذ «تذكروا» كلام يسوع فهذا يعني انهم لم يرددوه مجرد ترداد بل فهموه حق الفهم مما الهب قلوبهم . وهكذا ننقل المعنى الذي يحمله كلام يسوع والحقيقة التي يكشفها عن يسوع هو اهم من نقل الكلام حرفيا وبدون تفسير . فكلمات يسوع وكلمات الكنيسة مندمجة تعطي المعنى المطلوب (٤) . ومع ان كلمات يسوع الاصلية لم تفقد ، يلاقي العلماء ، للاسباب المذكورة اعلاه ، صعوبات جمة في اكتشاف الصيغة الاصلية لاقواله (٥) . لقد وحد يسوع نفسه وكنيسته . وحافظت هذه الكنيسة على اعماله واقواله ، كما نقلتها ودونتها في الاناجيل . لذلك فالرواية الانجيلية جديرة بالثقة وان لم ترتكز على تدوين حرفي للوقائع .

مع ذلك تبقى المشكلة قائمة في ايجاد مقاييس يعتمد عليها للوصول الى تمييز واضح بين اقوال يسوع وبين صياغتها من الكنيسة ، بين « الاصيل » و « غير الاصيل » من هذه الاقوال ، وكذلك بين عناصرها « القديمة » والعناصر « الاقل قدما » ، علما بان مفهوم الاصالة والقدم غالبا ما يقرره النقاد حسب اهوائهم . فما هي الاسس التي يمكن للنقاد اعتمادها لنعت بعض العناصر بغير الاصيلة او بانها قد ادخلت في فترات زمنية لاحقة ؟ احد الاجوبة عن هذا السؤال يكمن في دراسة الالفاظ المتحدرة من اصل يوناني . لذلك لا بد لنا ، الآن ، من بحث موضوع استعمال اللغة اليونانية في فلسطين ايام يسوع .

اللغة اليونانية في فلسطين

ينزع عدد كبير من البحاثة الى القبول بفكرة الفصل بين العناصر الهلينية والعناصر السامية في الاناجيل وفي التقليد الذي ترتكز عليه . انهم يفترضون ان يسوع علم بالآرامية ، وان فلسطين كانت شبه منعزلة في القرن الاول عن التأثيرات اليونانية . وكثيرا

ما يعتبرون التأثيرات الهلينية غريبة عن التقليد الانجيلي الاصيل وليست ذات اهمية عظيمة ، كونها « حديثة وغير اصلية » . واما نحن فلا يمكننا ان نأخذ بهذا الفصل لأن الشواهد الادبية والاكتشافات الاثرية تثبت ان اليهودية القديمة لم تكن منعزلة تماما عن العالم الهليني المحيط بها . فاللغة اليونانية كانت معروفة في كل فلسطين وكانت لغة التخاطب في بعض البيوت اليهودية . حتى انه كان يوجد في اورشليم مجمع خاص باليهود اليونانيين (اعمال ٦ : ٩) (٦) . وهؤلاء هم غير اليونانيين الوثنيين (الاميين) المذكورين في (يو ١٢ : ٢٠) . ويظهر ان يونانيين ، صعدوا الى اورشليم كسواح ، رغبوا في رؤية يسوع فتقدموا من فيلبس ، احد الاثني عشر ، وعبروا له عن رغبتهم . فنقل فيلبس لاندراوس رغبة هؤلاء الوثنيين . انه من الاهمية بمكان ان يحمل اثنان من رسل يسوع ، فيلبس واندراوس ، اسمين يونانيين وان يكونا مكلفين بالاتصال باليونانيين . وهذا يعني امكانية معرفتهما لليونانية والتحدث بها . وثمة تلميذ ثالث كان ملما باليونانية الا وهو متى جابي الضرائب الذي قد يكون ايضا على شيء من معرفة اللاتينية (٧) .

تدل الاكتشافات الاثرية على الانتشار الواسع لليونانية في فلسطين . وشواهد بعض القبور في اليهودية كانت تحمل لغات ثلاث : العبرية والآرامية واليونانية (٨) . وهنالك كتابة باليونانية وجدت على مجمع في اورشليم يرجع عهدها الى ما قبل خراب هيكل اورشليم (سنة ٧٠ م) . وقد يكون هذا المجمع هو نفسه المذكور في (اعمال ٦ : ٩) (٩) .

على ضوء هذه الشواهد نستطيع افتراض امرين : الاول هو ان الكنيسة المسيحية الاولى في اورشليم كانت تضم بين اعضائها اناسا يجيدون اليونانية ، والثاني ان التقليد المتعلق بيسوع واقواله قد انتشر باللغتين الآرامية واليونانية ، وان اللغة اليونانية قد استعملت في الحقل التبشيري قبل ابتداء بولس . يتضح اذن ان التقليد الانجيلي لم يسكب منذ البدء في قوالب سامية « دون شائبة » ، وبالتالي لم يفقد من اصالته عندما نقل الى اليونانية . ومن المرجح ان يكون هذا التقليد قد عبر (بضم العين) عنه باللغتين منذ البدء . ان لهذا الامر نتائج مهمة في مسألة اصالة التقليد الانجيلي

وتاريخيته (١٠) . ولهذا فمن الصعوبة يمكان ان نرفض اصالة كلام لمجرد كونه ذا صفة هلينية .

مقياس عدم التشابه

هذا المقياس يستخدمه ، بشكل خاص ، نقاد الاشكال الادبية للحكم على اصالة الاقوال الانجيلية وللوصول الى المادة « الاصلية » الجديرة بالاعتماد . ولا يكفي ، برأي اتباع بولتمان ، الوصول إلى اقدم شكل لكلام يسوع لتأكيد اصالته . اذ لا يعتبر القول اصيلا الا اذا ظهر انه غير مشابه لأقوال الربانية الاقدمين وللأقوال المنسوبة الى الجماعة المسيحية الاولى . يقول احدهم : « لا نستطيع ان نعتبر اقدم شكل لقول ما اصيلا الا اذا برهن على انه غير مشابه لنقاط التشديد التي تميزت بها اليهودية القديمة والكنيسة الاولى » (١١) . بهذا المقياس يحاول النقاد اكتشاف شيء يمكن نسبه الى يسوع . وهم يبحثون عن يقين مطلق وحكم واضح . وها نحن تجاه محاولة ولدت في الشك إنتصر على الشك ذاته .

يمكن استعمال مقياس عدم التشابه كنقطة انطلاق شرط الاقرار بمحدوديته عند التطبيق . واذا طبق هذا المقياس بدون تمييز فالقليل من اقوال يسوع يعتبر اصيلا . فلا يعقل الا يكون تشابه بين ايمان الكنيسة وتعاليم يسوع . يفترض الاخذون بهذا المقياس عدم وجود علاقة بين يسوع وبين المسيح والكنيسة لانهم يعتقدون بان اقوال يسوع يجب ان تكون مختلفة كل الاختلاف عن الصيغ الكنسية . واذا اعتبرنا ان اقوال يسوع التي « تختلف عن طابع ايمان الكنيسة » هي وحدها اصيلة نقع في خطر اعتبار امر اساسي وكأنه ثانوي ، وذلك فقط لكون يسوع والكنيسة يشتركان في اعلانه. هذا المقياس يعكس محدودية نظرة هؤلاء النقاد الى عبقرية يسوع (١٢) ، وموقفهم المشكك تجاه نوعية المادة الانجيلية والذين شهدوا لها .

لا نقدر ان نكتفي بمقياس واحد للأصالة ، خاصة اذا طبق على نص الانجيل وهو متعارض مع منظوريته . المنهج نفسه ليس مخطئا وانما مواقف العلماء وافتراضاتهم . كتب كبير اساتذة

العهد الجديد المعاصرين اوسكار كولمان ما نصه : « نكون قد حققنا كسبا كبيرا اذا ما بذلنا جهدا رصينا في الابتعاد عن الاحكام الذاتية ... يجب ان نحرر انفسنا من عادة قياس الحس النقدي عند مفسري العهد الجديد بعدد الاحكام التي يصدرونها ضد اصالة نصوص كتابية » (١٣) .

ويقترح كولمان بعض المقاييس التي تسمح بتحديد ومعرفة الاقوال المدونة المنسوبة الى « فعل الجماعة » وليس الى يسوع :

١ — ان يكون هذا القول متناقضا مع اقوال اخرى ثبتت نسبتها الى يسوع .

٢ — ان يدل هذا القول على وضع يستحيل حصوله في زمن يسوع .

٣ — ان يكون هذا القول استنادا الى نقد شكله الادبي والمقارنة بين الاناجيل السينابتية قد قيل في زمن لاحق ليسوع .

وينبهنا كولمان الى عدم كفاية هذه المقاييس والى انها لا تقدم ضمانات اكيدة للتمييز بين اقوال يسوع الاصيلة وبين اقوال الكنيسة ، فليس من مقياس يسلم من تأثير الاحكام الشخصية (١٤) .

لا تعتمد اعمال النقاد الراديكاليين والنتائج التي يتوصلون اليها على رغبتهم في اكتشاف ما يريدون بل على المنظورية التي يستخدمونها في التطلع الى الاحداث الماضية ، والى الفرضيات المعبر عنها وغير المعبر عنها ، والمبادىء المتبعة في التفسير . فهم لا يجدون ، مثلا ، صعوبة في تأكيد صحة اسناد الاقوال التالية ليسوع : « قال له يسوع (للرجل الغني) لماذا تدعوني صالحا ؟ ليس احد صالحا الا واحد وهو الله » (مر ١٠ : ١٨) . « ولكن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفهما احد ولا حتى الملائكة في السماء ولا الابن بل الآب فقط » (مر ١٣ : ٣٢) . « وصرخ يسوع بصوت عظيم : الهي الهي لما شبقتني ؟ الذي تفسيره الهي الهي لماذا تركتني » (مر ١٥ : ٣٤) . هذه الاقوال ليست من وضع الكنيسة لأن الكنيسة ، حسب زعمهم ، لا يمكن ان تكون قد ابتدعتها في صلواتها (١٥) .

ويظن هؤلاء النقاد أيضا بأن بعض اقوال يسوع الاخرى قد تكون غير اصيلة ، معتمدين على فرضيتهم ان يسوع التاريخي لم يكن يستطيع التلفظ بها ، ضاربين عرض الحائط بالنقد الادبي والتاريخي. ومعظم هذه الاقوال ما يشير الى تساوي يسوع مع الله . وهم يعتقدون بان كلام « يسوع التاريخي » وحده اصيل وجدير بالاحترام. ويفترضون تطورا تاريخيا في التقليد الانجيلي من « الادنى » الى « الاعلى » ، اي من صورة يسوع البشرية البسيطة الى صورته السماوية الالهية . ويعتبرون ان كل ما هو انساني قديم واصيل واما ما هو الهي فمستجد وغير اصيل . لذلك ينظرون الى كلام السيد الناهض من القبر على انه غير اصيل ، اذن هو غير تاريخي . وبالتالي فسلطة المسيح الناهض اقل اهمية من « يسوع التاريخي ».

يبدأ الباحث في مشكلة الاصالة عمله على اساس فرضيات مسبقة . وهذا لا يعني انه يرى نتائج بحثه مسبقا لكنه يسير في بحثه معتمدا بعض المبادىء . وعلم الكتاب المقدس كسائر العلوم يعتمد بعض الفرضيات المسبقة (١٦) . ومن المعلوم انه ، في حقل البحث التاريخي ، لا يمكن الوصول الى الموضوعية المطلقة مع وجوب السعي اليها دوما . يقول الاب جورج فلورفسكي : « على المرء ان يفحص فرضياته وآراءه المسبقة بحزم ودقة ، دون ان يجرد عقله من كل الفرضيات . فمحاولة كهذه ستكون بمثابة انتحار للعقل وتعطيل لامكانياته الفكرية » (١٧) . واخطر انواع الفرضيات الظن بان العقل خال منها . عندما لا نوافق على فرضيات بعض المفسرين فهذا لا يعني ان ليس عندنا فرضيات اخرى . كل ما في الامر اننا نتبع اسسا تفسيرية مختلفة عما يتبعون ، وهذه الاسس يجب ان نبينها بكل وضوح .

المفسر المسيحي حر في بحثه لكن ضمن اطار معين هو التقليد الكنسي برمته من كتابي وليتورجي وعقائدي . الكتاب المقدس ليس حقلا علميا قائما بذاته لان معناه معلن في حياة الكنيسة . ولذلك يجب ، في رأينا ، ان يتبع كل مفسر للعهد الجديد المبادىء والفرضيات التالية :

— الكتاب المقدس معطى ويجب ان يفهم ضمن اطار التقليد الكنسي .

ـ هناك وحدة بين العهد القديم والعهد الجديد ، انها الوحدة بين عهود الله وتحقيقها .

ـ يسوع هو مؤسس الكنيسة التي هي جسده .

ـ يسوع التاريخي هو نفسه الرب الناهض من بين الاموات .

الآن سندرس كلاً من هذه المبادىء بايجاز .

الكتاب المقدس والتقليد

ان كمال الايمان معطى في الكتاب المقدس . لذلك لم يتردد آباء الكنيسة في التكلم عن « كفاية الكتاب المقدس » . فبالنسبة للقديس اثناسيوس ، الكتاب المقدس « كاف لاعلان الحقيقة » . وبعد تعداده لاسفار العهد الجديد الـ ٢٧ في رسالته الـ ٣٩ سنة ٣٦٧ ، يؤكد القديس على ان هذه الاسفار « هي ينابيع الخلاص فليقبل اليها كل ظمآن ليرتوي بكلامها . ان فيها وحدها اعلنت عقيدة التقوى، فلا يزدن احد عليها شيئاً ولا ينقصن منها شيئاً » (١٨) . لكن الآباء لم يعتبروا ان الكتاب يفسر نفسه بنفسه لأن نظرتهم الى الكتاب لم تكن تنفي بل بالعكس تؤكد الارتباط العضوي بين الكتاب المقدس وبين الكنيسة وتقليدها . فالكتاب انبثق من التقليد . والكتاب المقدس والتقليد كلاهما ملك الكنيسة . ليس عهد جديد بدون الكنيسة ولا كنيسة بدون وحي الانجيل واعلانه . وما التقليد الشريف سوى تطبيق للكتاب المقدس في حياة الكنيسة . وما يميز شهادة الكتاب المقدس من كل الشهادات اللاحقة هو انه فيه دون (بضم الدال) الاعلان الالهي ، وهو المقياس الذي بموجبه تحكم الكنيسة على كل التعابير اللاحقة للحقيقة الالهية .

يحيا الكتاب المقدس في التقليد وفيه يظهر معناه لأنه منه اتى (١٩) . لذلك لا يمكن للواحد ان يناقض الآخر او يخضع له كما انه لا يستطاع عزل الكتاب عن حياة الكنيسة (٢٠) . فقد تعرضت الكنيسة دوما في تاريخها لتجربة إعتبار الكتاب المقدس وكأنه « قائم بذاته » ، وبالتالي النظر الى النمو العقائدي والليتورجي كعلامات ابتعاد عن « صفاء الانجيل ونقاوته » ، في حين يأتي هذا النمو من بذور الانجيل ذاته .

الوحدة بين العهد القديم والعهد الجديد

اعلن مؤتمر الدراسات المسكونية الذي عقد العام ١٩٤٩ في اكسفورد (انكلترا) « ان وحدة العهدين القديم والجديد ليست قائمة على تطور طبيعي ولا على تماثل تعوزه الحياة والحركة انما على فعالية عمل الله الخلاصي في تاريخ شعب واحد بلغ كماله في المسيح. لذا فمن المهم جدا ان نفسر العهد القديم على ضوء الاعلان الكامل في شخص يسوع المسيح كلمة الله المتجسد الذي منه انبثق كل ايمان الكنيسة بالثالوث » (٢١) . يسوع لم ينقض العهد القديم ولم يبطله بل حققه . وهكذا فالعهد الجديد ليس ملحقا او فصلا تفسيريا للعهد القديم ، انما تتمته وتحقيق لوعده ومفتاح لمعناه . بعد تحقيق الانتظار الماسياني اصبح بالامكان فهم العهد القديم في ضوء المسيح .

كثيرا ما يعود الانجيليون الى نصوص العهد القديم لوصف حدث ما او لتفسيره . والمسيحيون الاولون كذلك كانوا ينطلقون من يسوع الى العهد القديم مختارين مقاطع العهد القديم الواجب استخدامها على ضوء تاريخ حياة يسوع . فيسوع كان المرجع بالنسبة اليهم والكتاب المقدس شاهد لهذه الاولية . لقد نظروا الى العهد القديم على ضوء المسيح الذي حققه ، وهذه هي النظرة الوحيدة التي كان بامكان الكنيسة اتخاذها .

يسوع والكنيسة

تؤكد الاناجيل ان يسوع هو مؤسس الكنيسة ، وما القصد من اختيار الرسل الا الشهادة على ان يسوع اراد للكنيسة ان تتابع عمله . وقد وعدهم بعد القيامة بانه سيكون مع خاصته « الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . الكنيسة هي جسد المسيح ، فيها يحيا وعليها يسود (٢٢) . وهو الذي اودع كلماته واعماله في الكنيسة التي انسس ، وليس في جماعة مجهولة اختلقت خرافات واساطير عنه.

« يسوع التاريخ » و « مسيح الايمان »

كما اننا لا نستطيع الفصل بين الكتاب المقدس والتقليد ولا الفصل بين يسوع وكنيسته ، كذلك لا يمكن الفصل بين « يسوع »

و «المسيح». فاذا لم يكن مسيح الكرازة يسوع الناصري نفسه فلا بد انه شخص اسطوري . وفي هذه الحال تكون البشارة الانجيلية غير متجذرة في حدث تاريخي ، بل ناتجة عن تقرير خاطىء وخيالي .

لقد بشر الرسل بالمسيح الناهض من بين الاموات دون ان يهملوا تاريخ حياة يسوع . ولهذا كان موضوع بشارتهم لليهود وللأمم هو الرب القائم ويسوع التاريخ في آن واحد . ولما اعلنوا لليهود قيامة يسوع ركزوا على « يسوع هذا » : « **يسوع** الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون ، **هذا** اخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي اثمة صلبتموه وقتلتموه ... **يسوع هذا** اقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك » (اعمال ٢ : ٢٢ — ٢٣ ، ٣٢) .

« يسوع هذا » كان ايضا نقطة التركيز في البشارة الى الامم : « ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي اورشليم . الذي ايضا قتلوه معلقين اياه على خشبة . هذا اقامه الله في اليوم الثالث واعطى ان يكون ظاهرا » (اعمال ١٠ : ٣٩ — ٤٠) . لا يوجد عند هؤلاء الشهود العيان للقيامة اي فصل بين يسوع الذي دعاهم عندما كان مارا على شاطىء بحر الجليل وبين الرب الذي عاينوه بعد القيامة وسجدوا له . بذلك يؤكدون ان العلاقة بين يسوع التاريخ والمسيح الناهض من بين الاموات ليست نتيجة تطور تاريخي ، بل يسوع هو بالحقيقة المسيح .

بالرغم من ان لقب « الرب » Kyrios اطلق على يسوع بعد القيامة ، ينسب اليه لوقا الانجيلي هذا اللقب حتى قبل الصلب والقيامة (لو ٧ : ١٣ ، ١٠ : ٣٩ — ٤١) . في عمله هذا ، لم يسع لوقا الى تزوير التاريخ ، لكنه ارتكب الاخطاء نفسها التي يرتكبها المؤرخون عندما يتحدثون عن احداث ماضية على ضوء التجربة الحاضرة . فامتد نور القيامة الى كل احداث حياة يسوع السابقة . عندما اعطى الانجيلي لوقا لقب « الرب » ليسوع قبل موته وقيامته ، عبر بذلك عن ايمانه وايمان الكنيسة بان المسيح الناهض من القبر هو بالفعل يسوع الناصري .

هذه المبادىء الموجهة تعطي للمفسر المسيحي منظوريتـــه بل وجهة نظر في دراسته للانجيل ، مما يؤهله بعد ذلك الى طرح الاسئلة التالية : ما هو الانجيل وما الحاجة التي دعت الى كتابته ؟ مـــا هي القيمة التاريخية للاناجيل ، وما يمكننا ان نتعلمه منهـــا عن يســـوع وتعاليمه ؟ وما نوع الشهادة التي تحملها عن يسوع ؟ والاهم من كل ذلك ، من هو يسوع ؟ في معالجتنا لهذه المواضيع سنأخذ في حسابنا آراء بعض النقاد الكبار المعاصرين .

الفصل الثالث

الانجيـــل والاناجيـــل

عندما نستعمل كلمة « انجيل » تتبادر الى ذهننا فكرة كتـــاب منسوب الى احد الانجيليين ، وقراءة الانجيل في الكنيسة اثناء الخدمة تعني قراءة من احد الكتب الاربعة المدعوة بالاناجيل . بيد ان هنالك معنى آخر ، وهو ان الفصل الذي يتلى يحمل الانجيل ، اي البشارة او رسالة الخلاص للذين يصغون اليها .

اذن ، كلمة انجيل تدل على معنيين : النص المدون والبشارة التي حملها يسوع الى العالم .

تاريخ كلمة « انجيل »

لقد حافظت الكنيسة على هذين المعنيين واستعملتهما منذ القرن الثاني الميلادي . اما في القرن الاول ، وبالتحديد في الفترة التي كتبت فيها الاناجيل ، فكلمة انجيل لم تكن تستعمل للدلالة على كتاب . ولا يوجد مثل واحد على ذلك الاستعمال في العهد الجديد كله . وسـواء استعملت الكلمة بصيغة « الانجيل » او بصيـغ اخـرى مثـل : « انجيل الرب » او « انجيل المسيح » ، فانها كانت تدل دائما عـلى

البشارة التي اعلنها يسوع واتى بها الى العالم ، والتي حققها في حياته وموته وقيامته . هذا المعنى الاخير لكلمة انجيل يوازي معنى (Kerygma) اي الكرازة الرسولية عن يسوع (١) .

هناك صيغة اخرى لهذه الكلمة الفناها بالرغم من عدم وجود اي شاهد عليها في العهد الجديد . هذه الصيغة هي صيغة الجمع اي « الاناجيل » . ولكن كتاب العهد الجديد لم يستخدموا ابدا هذه الصيغة لأنهم لم يستعملوا اطلاقا كلمة انجيل للدلالة على كتاب . بولس الرسول كتب الى الاعضاء الجدد في كنائس غلاطية موصيا بالا ينصرفوا عن الانجيل الذي اعلنه لهم الى « انجيل » آخر لأنه لا يوجد « انجيل آخر » . وتابع قائلا : « ان كان احد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن مبسلا » . ويؤكد مؤلف الرسالة الى اهل غلاطية انه لا يكرز بالانجيل الذي « على سنة البشر » ، لكن بالانجيل الذي « قبله باعلان يسوع المسيح » (غلا ١ : ٦ — ٩) . اول دليل على استخدام كلمة انجيل في صيغة الجمع يوجد في كتابات القديس الشهيد يوستينوس في اواسط القرن الثاني . ويستعملها للدلالة على الكتب الاربعة التي دونت فيها اقوال يسوع واعماله (٢) .

بالرغم من أن كلمة « انجيل » لم تستعمل في العهد الجديد بمعنى « الكتاب » ، فقد استعملها القديس مرقس في مطلع انجيله قائلا : « بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله » (مر ١ : ١) . لكنه لا يقصد بداية الكتاب انما ابتداء « بشارة الخلاص » التي انطلقت بكرازة يوحنا المعمدان في البرية ودعوته الى التوبة .

ما هو اصل كلمة « انجيل » ؟ هذه الكلمة ، كغيرها من العبارات الكثيرة الواردة في العهد الجديد ، كانت متداولة في العالم الروماني وكانت تشير الى ميلاد الملك Euaggelion ، ولم تبتكرها الكنيسة الاولى . يوجد نقش مهم يعود الى السنة التاسعة قبل الميلاد يحمل العبارات التالية : « لقد حمل ميلاد « الملك » الاله الى العالم بشائر الفرح (Euaggelia) الملازمة دائما له » . كذلك كانت تستعمل الكلمة ذاتها للاشارة الى قصة حياة الملك (٣) . وكانت ترد هذه الكلمة في العالم الروماني بصيغتي المفرد والجمع بخلاف العهد الجديد حيث لم ترد بصيغة الجمع .

لقد اخذ الانجيليون وكتاب (بتشديد التاء) العهد الجديد الاخرون عبارة متداولة ووضعوها في سياق جديد فاكتسبت منه معناها الجديد . وهذا المعنى حدده العهد القديم ويسوع نفسه الذي لم يكتف باعلان بشارة الخلاص بل اصبح نفسه محتواها ومضمونها . وقد يكون المعنى الذي نعطيه لكلمة « انجيل » مستقى من نصوص العهد القديم وخصة (اشعيا ٤٠ — ٦٦) . يقول النبي : « ما اجمل على الجبال قدمي المبشر ، المخبر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص ، القائل لصهيون : قد ملك الهك » (٥٢ : ٧) . نلاحظ في هذا المقطع ان الفعل العبري Bissar قد ترجم الى السبعينية بفعل (euagelizomai) ، الذي يعني « بشر » بالاخبار السارة . ومع ان العهد القديم لا يستخدم اطلاقا الاسم العبري المرادف للاسم اليوناني Euaggelion فمن الارجح ان يكون معنى هذه الكلمة في العهد الجديد قد اشتق من النص العبري للكتاب المقدس اكثر منه من الطقوس الرومانية الخاصة بالامبراطور . فانجيل مرقس الذي يقدم يسوع وعمله الخلاصي كتحقيق لوعود الله ولأماني الشعب يستخدم عبارة « انجيل » ليشير الى الموضوع الاساسي لبشارة يسوع (٤) .

في الآرامية اسم مرادف لكلمة (Euaggelion) ، ومع ذلك يميل البحاثة ، الذين ينكرون على يسوع وعيه انه ماسيا ، الى الجزم بان يسوع لم يستخدم هذه الكلمة ابدا . اما البحاثة الذين يؤمنون بان الاناجيل وثائق تاريخية فلا يجدون صعوبة في اسناد الكلمة الى يسوع . اذا كان يسوع واعيا انه ماسيا — كما تشهد الاناجيل — فلا بد ان يكون عارفا بانه افتتح ملكوت الله وان رسالته هي رسالة الخلاص . لذلك من الصعوبة بمكان القول بانه لم يستعمل الكلمة الآرامية المرادفة لكلمة (Euaggelion) (٥) .

خلافا لكلمة « انجيل » ، فالانجيل المكتوب هو من وضع الجماعة المسيحية الاولى وشكله الادبي غير مقتبس عن العالم الهليني . ولا يوجد في العالم اناجيل تشابهه . وهذا يعني ان المسيحيين الاولين باقتباسهم كلمة « انجيل » لم يقتصروا على اعطائها معنى جديدا بل صاغوها في ادب فريد متوافق مع فرادة شخص يسوع (٦) .

لقد ظهر الانجيل المكتوب جوابا لاحتياجات الكنيسة . وقد حان

الاوان في النصف الثاني من القرن الاول لاستخدام الشكلين الشفهي والكتابي من اجل نشر رسالة الخلاص . وكذلك تطلب ازدياد المد المسيحي ايجاد نصوص لتعليم المهتدين وللعمل التبشيري . وقبل كل شيء ، قوى غياب التلاميذ عن المسرح التاريخي رغبة الجماعة المسيحية بالاناجيل ، تلك الكتب التي تحمل طابع السلطة الرسولية .

لم يترك يسوع كلمات مكتوبة بل اودع رسالته تلاميذه الاثني عشر الذين لازموه وتتلمذوا عليه . وبعد حوالي ٣٠ سنة من الكرازة والتعليم الرسوليين ظهر اول انجيل مكتوب . ومقدمة انجيل لوقا (١ : ١ — ٤) توحي بقوة ان هنالك ثلاث مراحل في نمو الاناجيل : اولا : احداث حياة يسوع واعماله ، هذه «الاحداث التي جرت بيننا» . ثانيا : قبول هذه « الاشياء » ونقلها بواسطة الشهود العيان وخدام الكلمة ، وهذا ما كان عمل الرسل بعد القيامة . وفي هذه الفترة اصبح الاثنا عشر رسلا بكل ما في الكلمة من معنى . أما الخطوة الثالثة والاخيرة فكانت كتابة الانجيليين لأناجيلهم .

الاناجيل والانجيليون

لقد نسبت الكنيسة الاولى الانجيل الاول الى متى والانجيل الرابع الى يوحنا ، وهذان تلميذان ليسوع . واما الانجيلان الآخران الثاني والثالث فهما لمرقس ولوقا اللذين لم يكونا من التلاميذ الاثني عشر بل من مسيحيي القرن الاول .

ولا يختلف البحاثة المعاصرون كثيرا حول زمن ومكان تأليف الاناجيل . فانجيل متى كتب (بضم الكاف) بعد سقوط اورشليم السنة ٧٠ م ، وقد يكون ذلك في انطاكية حيث كانت الجماعات المسيحية تتألف من اليهود والامميين . وانجيل مرقس ، تلميذ بطرس ، كتب في روما قبل سقوط اورشليم وبعد موت بطرس السنة ٦٤ . اما لوقا ، رفيق الدرب لبولس ، فكتب انجيله بعد سقوط اورشليم بما يقارب العشر او الخمسة عشر سنة ، وشهد جنوب اليونان ظهور هذا الانجيل . ولنأت الى يوحنا بن زبدى ، حبيب الرب والشاهد العيان لأعمال يسوع وتعاليمه ، فنجد انه كتب انجيله قبل نهاية القرن الاول ويظن ان ذلك تم في افسس (٧) .

كل انجيل من الاناجيل الاربعة كتب لهدف معين . متى وجه انجيله الى المسيحيين من اصل يهودي . لذلك شدد على ان المسيح هو ماسيا المنتظر . لا بل هو اعظم منه لأنه ، بالاضافة الى كونه « ابن داوود » فهو ابن الله الوحيد . وبما ان الكنيسة اعترفت به وقبلته فهي اذن اسرائيل الحقيقي . اما انجيل مرقس فيشدد على ان يسوع هو ماسيا المنتظر ، لا بل هو اعظم منه لأنه ، بالاضافة الى كونه « ابن للأمميين نجده مليئا بالاشارات الى العهد القديم ، هذه الاشارات التي لا بد من اخذها بعين الاعتبار للوصول الى فهم صحيح لأجزاء عديدة من هذا الانجيل . وثمة انجيلي آخر كتب للأممين . هذا الانجيلي هو لوقا مؤرخ الكنيسة . ولوقا في كتابيه ، الانجيل واعمال الرسل ، قسم تاريخ الخلاص الى مراحل ثلاث : المرحلة الاولى هي التحضيرية تليها مرحلة عمل يسوع واخيرا يأتي زمن الكنيسة الذي يبدأ بالعنصرة ويدوم الى اليوم الاخير . ولقد اكد هذا الانجيلي بشدة على ان يسوع هو مخلص العالم . اما الانجيل الرابع فقد وصفه اسرائيل ابراهامس بانه « الاكثر يهودية بين الاربعة » . غير انه ، بمعنى من المعاني ، الانجيل الاقل يونانية والاقل يهودية بين الاربعة . فلا اليهودي ولا اليوناني يمكن ان يكونا قد كتبا هذه العبارة : « والكلمة صار جسدا » (يو ١ : ١٤) . انجيل يوحنا يكشف لنا هوية المسيح ومعنى مجيئه بالنسبة للعالم والكنيسة والانسان . يجب الا نغالي في التأكيد على الصفات الخاصة لكل انجيل والتي نشأت من اختلاف الظروف التاريخية في الكنائس المحلية والتقاليد التي استقى منها كل من الانجيليين اثناء تأليف انجيله . فالاناجيل الاربعة تشهد كلها ليسوع ، وكلها تؤكد انه حقق كل مرجوات العهد القديم .

يعترف الانجيليون كلهم بان يسوع هو ابن الله المتجسد ، الا ان كلا منهم يتناول هذا الاعتراف على نحو مختلف . فحسب روايتي متى ولوقا للبشارة ، الآتي هو ماسيا الاله المتجسد بين البشر . « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » . هذا نجده في (متى ١ : ٢٢) . وفي (لو ١ : ٣٢) : « هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داوود ابيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية » . وتتكلم مقدمة انجيل يوحنا عن ظهور كلمة الله وعن سر التجسد . وهذا ما يظهره

كذلك مرقس في كلامه عن معمودية يسوع ، فيقول : « وللوقت ، وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه . وكان صوت من السماء يقول : انت ابني الحبيب الذي بـه سررت » (مر ١ : ١٠) . لم يتبن الله يسوع في المعمودية انما اعلن ان يسوع هو ابنه الازلي . فيوم معمودية يسوع هو يوم الظهور الالهي (٨) . وهكذا يتضح ان الانجيليين الاربعة يشتركون في اظهار فعل التجسد لكن كل واحد منهم يعبر عنه بطريقته الخاصة . وهكذا فان اختلاف الانجيليون في طرحهم للامور والتعبير عنها ، فانهم متحدون في اشتراكهم بتقليد الكنيسة والايمان بايمانها ، واتخاذهم ايمان وحياة الكنيسة مرجعا لهم في كل ما يختص بانتقاء ورصف موادهم .

لا نستطيع ان نعتبر الانجيليين مؤلفين لأناجيلهم بالمعنى الحديث للكلمة لأن المؤلف المعاصر مسؤول كليا عن شكل عمله ومحتواه . اما مسؤولية الانجيليين فهي من نوع آخر ، لأنهم استقوا نماذجهم من الكرازة الرسولية واقتبسوا معلوماتهم من التقاليد المتعلقة بيسوع . كانوا اعضاء في الجماعة المسيحية وعبروا عن ايمان الكنيسة . فكتب كل منهم أنجيلا من اجل الكنيسة ، فاصبح الانجيل كتاب الكنيسة الذي فيه يتجسد ايمانها . غير ان الانجيليين لم يكونوا ناقلين للتقليد وحسب بل كانوا « شهود عيان للايمان » . وبالرغم من الهام الروح القدس لهم عبروا بمصطلحات مختلفة . كتب القديس باسيليوس الكبير : « الروح القدس لا يحرم احدا قدرته على التفكير ولا حريته . الشيطان وحده يفعل ذلك » . اذن تؤكد الاختلافات بين الاناجيل في آن صحة الهام الانجيليين وقوة استجابتهم الشخصية للاعلان الالهي (٩) .

المسألة السينابتية

تعرف الاناجيل الثلاثة الاولى بالاناجيل السينابتية (١) ، لأننا اذا وضعنا محتوياتها في ثلاثة اعمدة نلاحظ توافق هذه المحتويات الى درجة استخدام الكلمات عينها في وصف اعمال يسوع وتدوين اقواله . ويشكل مدى التوافق او الاختلاف بين موادها « المسألة السينابتية » بالذات . ويوافق معظم علماء الكتاب على ان انجيل مرقس هو الاول بين الروايات المدونة عن يسوع وان متى ولوقا

(١) من «Synoptiques» . ويمكن استعمال ايضا عبارة « المتماثلة » .

عرفا هذا الانجيل وكان احد مصادر انجيليهما . واستنادا الى المواد المشتركة بين متى ولوقا وغير الموجودة في مرقس ، قال العلماء بان متى ولوقا استخدما مصدرا آخر يدعى Q (الحرف الاول من كلمة Quelle الالمانية التي تعني مصدرا) . هذا المصدر فقد فور افادتهما منه ، ولا يزال الخلاف قائما حول محتوياته . يضاف الى ذلك ان متى اعتمد مصادر خاصة به يرمز لها بالحرف M . وكذلك لمرقس مصادره الخاصة ويرمز لها بالحرف L . ومع ان معظم نقاد العهد الجديد يأخذون بأهم فرضية في هذه النظرية ، اي باسبقية الانجيل الثاني ، فان بعض العلماء الكاثوليك يسلمون باسبقية النص الآرامي لانجيل متى . ويقولون بان متى وضع انجيله بالآرامية حوالي السنة ٥٠ م مباشرة قبل ظهور مجموعة آرامية لأقوال يسوع ، ولم يطل الوقت حتى نقل الانجيل الآرامي وكذلك المجموعة الى اليونانية. ومن المفروض ان تكون قد ظهرت في وقت قصير ترجمات عدة يونانية لانجيل متى ، فعرف مرقس واحدة منها واستخدمها في كتابة انجيله . لكنه لم يكثر من اقوال يسوع الموجودة في الانجيل الاول كما انه لعدم اطلاعه على المجموعة الخاصة لم يلجأ اليها . وبعد اكمال انجيل مرقس لجأ احد المسيحيين المجهولي الهوية والذي قد يكون تلميذا لمرقس ، الى ترجمة النسخة العبرية الى اليونانية . وفي عمله هذا استخدم انجيل مرقس معيدا اليه الاقوال التي كان مرقس قد حذفها ومضيفا اقوالا مستقاة من المجموعة الخاصة Q ، فكان انجيل متى بشكله الحالي . اما لوقا فاستخدم مرقس والمجموعة الآرامية ومعلوماته الخاصة التي وجدها خلال بحثه عن التقاليد الانجيلية الاولى (١٠) . ان الرأي القائل باسبقية النص الآرامي لانجيل متى يبدو نظريا اكثر من الرأي القائل باسبقية انجيل مرقس .

اعترض ، جديا ، في السنوات الاخيرة على نظرية المصدرية لأنها لا تعطي التقليد الشفهي حقه ولأنها تعتبر عملية تكوين الاناجيل مشكلة ادبية صرفة . وقد ظهرت نظرة جديدة الى تكوين الانجيل ، وهي لا تزال في طور النمو ، تعتمد التقليد الشفهي والتقليد الكتابي ، دعاها اصحابها بـ « نظرية الوثائق المتعددة » . هذه النظرية تستند الى الفرضية القائلة بأن مجموعات اقوال يسوع واعماله قد ترجمت الى اليونانية في وقت مبكر وان الانجيليين اعتمدوا هذه المجموعات . المهم في هذه النظرية انها تؤكد على وجود اتصالات بين المصادر الانجيلية قبل تأليف الاناجيل . وبالتالي فان التأثيرات

والاحتكاكات الادبية حصلت قبل كتابة انجيل مرقس وليس بعده ، اي « بين وثائق سابقة للمواد المستعملة في الاناجيل السينابتية والتي كانت قد انتظمت انذاك على نحو منهجي تقريبا » (١١).

وقصارى القول ، ان نظرية المصدرين مبنية على مبدأ الاقتباس وبالتالي فان متي ولوقا اقتبسا من مرقس . اما المتمسكون بنظرية الوثائق المتعددة فيعتبرون ان نظرية المصدرين ذات اتجاه واحد وصارم ويرفضون كل الحلول المبنية عليها . وهم يعتقدون بوجود مصادر سابقة للاناجيل ، ومهمة النقد الكتابي تمييز هذه المصادر وتحديدها ، ولكن هذا العمل لا يزال بعيدا عن التحقيق .

يشترك انجيل يوحنا مع الاناجيل السينابتية في التصميم العام المنبثق من الكرازة الرسولية المتعلقة باعمال الله الخلاصية . بيد ان هذا الانجيلي قد وضع هذا التصميم بمعزل عن الاناجيل السينابتية ، مدرجا في انجيله تقاليد خاصة ، لا تعتمد المصادر السينابتية ، ولكنها ليست اقل اصالة منها ، بل قد تقترب من الاحداث الاصلية اكثر منها . كذلك فالتقليد الذي ارتكز عليه الانجيل الرابع منفصل عن التقليد الذي اخذ منه متى ومرقس ولوقا معلوماتهم ولكنه مشابه له . لقد امعن الانجيليون النظر جيدا في مصادرهم وصيغوا اناجيلهم بصيغتهم الخاصة وقد ساق يوحنا اثرانه بذلك . وقيل عن انجيله انه « بحسب الروح » ، ونعتت الاناجيل الباقية بانها « بحسب الجسد » . لكن من الخطأ الاستنتاج من هذه النعوت ان الانجيل الرابع لا قيمة تاريخية له . فقوله : « والكلمة صار جسدا » يظهر ان ما كان يعلن عنه ذا مغزى لاهوتيا وتاريخيا على حد سواء اذ لا بد للاحداث الانجيلية ان تكون حقيقية ، اي ان يكون بالامكان اثباتها تاريخيا لكي تكتسب معنى لاهوتيا .

هل تعد الاناجيل سيرا ؟

تعرض صورة المسيح في الاناجيل من خلال عناصر تاريخية وسيرية . ومع ذلك لا يمكننا تصنيف الاناجيل كسير او ترجمات لحياة يسوع . فالسيرة الحديثة لا تكتمل بدون كشف الدافع الداخلي عند الانسان الذي تكتب سيرته . في الاناجيل لا توجد اية مادة

يمكن استخدامها لتحليل النمو النفسي ليسوع . فمعمودية يسوع ، مثلا ، لم تأت نتيجة لاستيقاظ الوعي الماسياني عنده او لادراكه انه قد اختير ليكون ماسيا بل كاعلان وكشف للتجسد واشارة الى حضور الله على الارض وتحطيم الحجاب بين الله والانسان .

لم تحاول الكنيسة ابدا ان توجد سيرة ليسوع ، لأن « سيرة » كهذه محكوم عليها بالفشل ، هذا الفشل الذي لا يعود فقط الى عدم توافر المصادر بل الى صعوبة الشخص الذي تعكسه لنا . كتابة سيرة يسوع تعني رسم الوجه الانساني لشخص يسوع وهذا يفترض بالتالي فصل يسوع الانسان عن يسوع الاله . وهذا الامر مستحيل وباطل في ذاته اذ لا انفصال في المسيح بين الانسان والاله (١٢) . ان فصلا كهذا ادى على الصعيد اللاهوتي الى النسطورية ، وعلى صعيد البحث الكتابي الى ما يسمى « بسير يسوع » التي ظهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين . الكنيسة تؤمن بان كلا من النسطورية و « سير يسوع » قدمتا صورة مباينة لصورة المسيح الانجيلية .

وهكذا يسوع لم يطلب قط من تلاميذه ان يدونوا سيرة حياته . لقد اعطاهم سلطانا لطرد الشياطين (مر ٣ : ١٤ — ١٥) ولشفاء المرضى (مر ٦ : ١٢ — ١٣) ولاعلان بشارة ملكوت الله (متى ١٠ : ٧ ، لو ٩ : ١ — ٢) . وطلب منهم بعد القيامة ان يعمدوا كل الامم : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم ان يعملوا بكل ما اوصيتكم به » (متى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) . وعندما سأله تلاميذ يوحنا المعمدان : « هل انت الذي يجيء ام ننتظر آخر ؟ » (متى ١١ : ٣) لم يقدم لهم اية معطيات عن ماسيانيته بل لفتهم الى اعماله : « ارجعوا واخبروا يوحنا بما تسمعون وترون : العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يتلقون البشارة » (متى ١١ : ٤ — ٥) . هذا ما نجده في الاناجيل وليس سيرة منهجية ليسوع .

رب قائل بأن « السيرة » لم تكن اسلوبا من اساليب الكتابة التي اولاها اليهود اهتماما ونحن نعلم بان التلاميذ جميعا كانوا يهودا ، وان الانجيليين ، ما عدا لوقا ، كانوا من اصل يهودي . كتب

غرانت بهذا الشأن : « لم يحظ اي نبي او حكيم او كاتب او ربان بسيرة كاملة » (١٣) . لكن بسبب تأثير يسوع على اتباعه ولكتابة الاناجيل خارج فلسطين حوت بعض عناصر السيرة لكنها لا تعتبر اطلاقا سيرة .

لا تقدم وثائق العهد الجديد سوى وصف موجز لشخص يسوع لأنها ، اصلاً ، لم تكن تبغي العناية بالوصف الادبي ولا برسم صورة فوتوغرافية ليسوع ، بل اظهار وجهه الحقيقي ، مخالفة بذلك الكتب الابوكريفية التي يظهر فيها الوصف الادبي واضحا (١٤) . وكذلك الاناجيل فانها لا تقدم لنا صورة فوتوغرافية لأن صورة كهذه تظهر الشخص في لحظة معينة من حياته فقط ، اي انها صماء بكماء عما حدث قبل وبعد تلك الهنيهة . كما انه يمكن استخدام الصورة الفوتوغرافية « لتثبيت او نفي رواية الشاهد العيان دون ان تتمكن من الحلول محلها » (١٥) . وكثيرا ما شبهت الاناجيل بالايقونة حتى دعيت بـ « الايقونة الكلامية » للمسيح . وهذه الايقونة ليست من ابداع مواهب الانجيليين بل نتيجة اتباع التقليد الذي به كانوا ملمين وفيه مشاركين ومنه استقوا كل مواد اناجيلهم .

مهمة الانجيليين المزدوجة

لقد اعترض الكثيرون على تحيز هذه الروايات عن حياة يسوع وشككوا في قيمتها من الوجهة التاريخية . ولا يخفي الانجيليون تأثر اناجيلهم بالقيامة . ولولا قيامة المسيح لما كان هناك كنيسة ولا اناجيل . وتسجل لنا الاناجيل احداث الماضي في ضوء القيامة . هذه هي نظرتهم ولا يمكن التأريخ بدونها . يقول الاب جورج فلورفسكي : « اننا لا نقدر ابدا ان نتذكر ماضينا القريب كما عشناه تماما لأنه لو كنا نتذكر ولا نحلم لكنا تذكرنا الاحداث الماضية بمنظار التحولات الكثيرة التي طرأت علينا بعدها » (١٦) . القيامة هي التي اعطت للاحداث معناها وهي التي غيرت البشر وحولت المؤسسات . فحل محل فريضة السبت الاحتفال بيوم القيامة واضحى يوم الاحد ، وليس السبت ، اليوم « الذي صنعه الرب » وصار يعتبر هو تاج الاسبوع . كل شيء اصبح جديدا وتغير بعد القيامة . فالرسل الذين اظهروا الجبن في اسبوع الآلام ، غدوا بعد القيامة

شهودا لا يهابون احدا . وقد دهش رؤساء اليهود وشيوخ الشعب من جراة بطرس ويوحنا (اعمال ٤ : ١٣) . الم يعلن بطرس بكل جراة امام المجلس انه « يجب ان نطيع الله لا الناس » (اعمال : ٢٩) وهو الشخص الذي وبخه يسوع قبل القيامة لأن افكاره هي « افكار البشر لا افكار الله » (مر ٨ : ٣٣ وما يوازيها) . وما كتبه بولس الرسول عن حياته الخاصة يمكن ان ينطبق على الاثني عشر :

« الا ان ما كان لي كل ذلك من ربح لي عددته خسرانا من اجل المسيح . بل اعد كل شيء خسرانا من اجل الربح الاعظم ، الا وهو معرفة ربي يسوع المسيح : من اجله خسرت كل شيء وعددت كل شيء نفاية لأربح المسيح واكون فيه . . . واذا تم لي ذلك عرفته وعرفت قوة قيامته وشاركته في آلامه . فتمثلت به في موته ، لعلي ابلغ القيامة من بين الاموات » (فيلبي ٣ : ٧ — ١١) .

ومع ان البشائر كتبت في ضوء القيامة بيد انها حافظت على الكثير مما يتعلق بتاريخ يسوع قبل القيامة . وهذه المعلومات التاريخية لم تعرض كمجرد حقائق تاريخية خالصة بل اعطي لها المعنى الذي اتضح بعد القيامة . اذ انه بعد القيامة فقط انكشفت احداث بشارة يسوع ، وكل حدث اخذ معناه الكامل ، واصبح ملتصقا بتفسيره . غير ان هذا المعنى لم يكن من استنباط الانجيليين بل نتيجة التقليد الذي يستمد جذوره من يسوع نفسه .

تبقى مهمة علم التاريخ ان يكشف ، بقدر الامكان ، عما حدث فعلا ويفسر كيفية دمج الاحداث ومعانيها من قبل الانجيليين . يساعد في ذلك وجود اربع مدونات لأقوال وتعاليم يسوع مما يتيح للمؤرخين تحليل ومقارنة المعلومات الواردة في المصادر الاساسية والسعي للتمييز بين الاحداث التي وقعت قبل القيامة وبعدها . اعتراف بطرس بالوهية المسيح الوارد عند الانجيليين الاربعة (متى ١٦ : ١٣ ، مر ٨ : ٢٧ ؛ لو ٩ : ١٨ ، يو ٦ : ٦٨ . . .) هو مثال لهذه المشكلة في البحث التاريخي . سأل يسوع تلاميذه : « ومن انا في رأيكم انتم » (١٧) ، فكان جواب بطرس مختلفا في الاناجيل الاربعة . فحسب مرقس كان الجواب : « انت المسيح » (مر ٨ : ١٩) وحسب لوقا : « انت مسيح الله » (لو ٩ : ٢٠) . اما عند متى فيجيب : « انت المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦) . وهنا يرد السؤال :

ماذا قال بطرس بالفعل ؟ وما هو الشكل الصحيح لاعترافه ؟ وهل يجب قبول روايتي مرقس ولوقا المتشابهتين او رواية متى التي تختلف عنهما بشكل ملحوظ ، فتضيف « ابن الله الحي » ؟ يعترف بطرس عند لوقا ومرقس بان يسوع هو الماسيا المنتظر . وتجدر الاشارة هنا الى ان ماسيا ذاك لم يكن يعتبره اليهود كائنا الهيا . اما شهادة بطرس في انجيل متى فانها تدل على ان بطرس والرسل الآخرين كانوا قد فهموا آنذاك سر يسوع . وهذه الفرضية تناقض الصورة عن الاثني عشر في الاناجيل لأنهم لم يكونوا يعرفون هذا السر قبل القيامة . كذلك لا تتوافق هذه الفرضية مع رفض بطرس لتعليم يسوع عن آلامه وتوبيخ يسوع له : « ابتعد عني يا شيطان ، فانت عقبة دوني لأن افكارك ليست افكار الله بل افكار البشر » (متى ١٦ : ٢٣) . ان رفض بطرس للآلام وتوبيخ يسوع له يردان مباشرة بعد الاعتراف به . وذلك يدل على ان بطرس اعترف بيسوع ، حسب رواية مرقس ولوقا ، انه المسيح المتمم لوعود العهد القديم .

اذن ، كيف يمكننا ان نفسر الكلمات : « ابن الله الحي » . فمتى عندما دون هذه الكلمات في انجيله لم يحرف او يسيء فهم ما حدث في قيصرية فيلبي ، لكنه بتدوينه الكلمات سجل بكل بساطة اعتراف بطرس مفسرا في ضوء القيامة . الوحيد الذي اعترف به بطرس على انه الماسيا هو ابن الله المتجسد . واعتراف بطرس ، كما هو مدون في متى، يبرز بقوة ان يسوع التاريخ هو نفسه يسوع الايمان، وان كليهما واحد، وان من تعبده الكنيسة ليس سوى الذي اكد بطرس انه الماسيا . فما اضافه متى هو المعنى الذي انكشف كاملا بعد القيامة . فمتى لم يفرق بين تاريخ يسوع وتاريخ السيد في الكنيسة في حين اتضح الاول جيدا في ضوء الثاني . ولقد اتضح الحدث وانجلت معانيه فقط عندما نظر اليه من خلال نهايته التي هي في الوقت ذاته بداية جديدة . هذا هو ما يسمى بمهمة الانجيليين المزدوجة التي تكمن في تدوين « ما حصل » ونقل معناه في آن .

دور الشهود

وقد وعد يسوع تلاميذه قبل صعوده الى الآب بانهم سيتلقون قوة عند حلول الروح عليهم وسيكونون « شهودا » Martyres

له « في اورشليم واليهودية كلها والسامرة حتى اقاصي الارض » (اعمال ١ : ٨) . وقد شهد الاثنا عشر ليسوع « منذ ان عمده يوحنا الى يوم رفع عنا » (اعمال ١ : ٢٢) . وفي اليوم الخمسين ، فيما كان بطرس واقفا مع التلاميذ ، اعلن ان « يسوع هذا قد اقامه الله، ونحن باجمعنا شهود Martyres على ذلك » (اعمال ٢ : ٣٢) . وهكذا لم ينسب بطرس ولا التلاميذ اية كلمة خاصة الى انفسهم بل اكدوا فقط انهم شهود ليسوع .

يجب التمييز بين كون الاثني عشر شهود عيان (autoptai) (لو ١ : ٢) قبل القيامة وحلول العنصرة وكونهم شهودا Martyres بعد ذلك . كشهود عيان اصغوا الى تعليم يسوع وكانوا على استعداد لترك « العالم » ليتبعوه (لو ١٤ : ٢٥) ، في حين كان يوجد شهود عيان كثيرون غيرهم فضلوا العالم على اتباع يسوع . لأنهم وجدوا كلامه عسيرا لا يطاق ، « فتخلى عنه عندئذ كثير من تلاميذه وانقطعوا عن مصاحبته » (يو ٦ : ٥٢) . اما بصفتهم شهودا فقد شهدوا على بشارة يسوع : ماذا قال ، وماذا فعل . فكانوا مسؤولين عن نقل احداث حياة يسوع وبالوقت نفسه عن تفسيرها ، وكانوا مسؤولين عن تفسير العهد القديم بواسطة يسوع نفسه . وقبل كل شيء فقد شهدوا لقيامته وكل ما تعنيه : لقد كانوا شهودا Martyres على ان السيد الناهض هو نفسه يسوع . وشهادتهم هذه هي اساس الاناجيل .

كل الشهود لقيامة المسيح ابدوا اهتماما بيسوع التاريخي . فبولس الرسول لم يكن شاهد عيان لحياة يسوع الارضية ولكن الرب اختاره ليكون له شاهدا (اعمال ٢٢ : ١٥ ، ٢٦ : ١٦) . ومع ان كل رسائله الى الامم كانت موجهة الى الجماعات المسيحية التي كانت مطلعة على احداث حياة يسوع ، كشف بولس الرسول اهتمامه الشخصي بتفاصيل هذه الحياة عندما تعدى الاحداث التاريخية الموجودة عادة في الكرازة الرسولية وكتب ، مثلا ، عن ذرية يسوع في الجسد وعلاقته بشعب اسرائيل (رو ١ : ٣ ، ٩ : ٥) . كذلك اكد على طبيعة يسوع الانسانية كابن لله مولود من امرأة (غلا ٤ : ٤) . واظهر بولس معرفته لحياة يسوع وتواضعه وطاعته الكاملة للآب (فيلبي ٢ : ٧ — ٨) . ويدل المقطع التالي من الرسالة

الثانية الى اهل كورنثوس (٨ : ٩) : « وتعلمون جود ربنا يسوع المسيح ، كيف افتقر لاجلكم وهو الغني لتغتنوا بفقره » ، ان تاريخ حياة يسوع قد بث « على الاقل في خطوطه الكبرى » في التعاليم التي كانت الكنيسة تلقنها لأعضائها الجدد (١٨) .

وكثيرا ما كان يرجع بولس الرسول في رسائله الى كلمات يسوع . فاصداء الموعظة على الجبل تسمع في رومية ٢ : ١٤ (متى ٥ : ٤٤) ، ١٢ : ١٧ (متى ٥ : ٣٩) ، ١٤ : ١٠ (متى ٧ : ١) . ويستهل رسالته الاولى الى اهل كورنثوس (٧ : ١٠ ، ٩ : ١٤) بكلام يسوع . « لو لم يكن وجه يسوع التاريخي كما يظهر من خلال اقواله وافعاله وآلامه يشكل الخلفية الحية والركيزة الاساسية » لرؤيته اللاهوتية لما استطاع بولس ان يكتب اكثر مقاطع رسائله الهاما (١٩) . ان وجه المسيح التاريخي ومجده الذي اعلن على طريق دمشق كانا حاضرين دائما امام عيني بولس ، ولذا لم يعرف اي انفصام بين يسوع التاريخي والرب المتمجد . اخذ بولس الرسول معلوماته عن يسوع التاريخي عن الشهود العيان لحياة يسوع وآلامه ، وعن الشهود لقيامته . وشهادة هؤلاء متجسدة في الاناجيل التي هي المصدر الوحيد لمعرفتنا عن يسوع الناصري ولا نملك وسيلة اخرى لنقل الحقائق التاريخية الا في حاملي الشهادة . ومن شهادة كهذه بزغت الاناجيل .